اللغة العربية والحروف اللاتينية

« للاستاذ صاحب (البلاغ) السيد عبدالقادر حمزة »

أردت وانا في باريس ان أرى بعض الطلبة المصريين فقيل لي ان « جمعية الثقافة العربية » تجتمع الليلة في الساعة التاسعة في قاعة جمعية العلماء (Société Savante) فان انت حضرت هذا الاجتماع ، وحضوره مباح لمن شاء فسترى جمعاً من المصريين قد لا يتيسر لك ان ترى مثله في مكان آخر فسرني ان يأوي الطلبة الى المجتمعات العلمية وذهبت في الميعاد فرأيت في الواقع فريقاً منهم وطبت نفساً بان وقفت معهم لحظة أسألهم أخبارهم و يسألونني أخبار الوطن . وعلمت منهم « ان جمعية الثقافة

---

(١) وذهب احد أدبائنا في سان باولو (البرازيل) وهو السيد جورج مسرة الى ان سلطة العربية معربة من كلمة (insalata) الايطالية بحذف المقطع الاول منها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العربية » تجمع مصريين وسوريين وتونسيين ومغاربة وان الغرض منها انشاء صلة بين شعوب الشرق العربي وتعاون في بحث الموضوعات التي يشتركون فيها . وعلمت ايضاً ان مستشرقاً كبيراً هو الاستاذ ماسنيون ، احد أساتذة كلية فرنسا (Collége de France) واحد العلماء الذين استقدمتهم جامعتنا المصرية وقتاً ما لالقاء محاضرات فيها ، يلقي الليلة محاضرة موضوعها « الثقافة العربية » فقلت في نفسي فرصة أتمتع فيها بالجلوس ساعة مع أبناء وطني وأستفيد علماً . وابتدأ الاجتماع فكان فيه مايقارب المائة من أبناء الشعوب العربية وبعض الفرنسيين سيدات ورجالاً ثم وقف الاستاذ المحاضر فأفاض متكلماً بالعربية تارةً وبالفرنسية تارةً أخرى فقارن بين اللغة العربية واللغات الآرية فأظهر من خواصها انها تذهب الى الغرض المقصود رأساً بينما اللغات الآرية لا تصل الى ذلك الا تدريجاً وانها تبرز المعنى المراد في أقل ما يمكن من اللفظ بينما اللغات الآرية ولغات غيرها كثيرة تعجز عن ان تجاريها في ذلك . ومضى يمتدح اللغة العربية من هاتين الناحيتين ومن نواح أخرى ثم خرج الى انها مع هذا توشك ان تشرف على الخطر اذا لم يسعفها المصلحون بما يقوّم من ضعفها واذا لم يبرؤوها من علل تثقل الآن جسمها فتمنعه من ان يجاري الزمن . وعلة هذه العلل في نظره هي الحروف العربية وما يدخل عليها من تغيير في الرسم وتغيير في الحركات يضيع المتعلم فيها شطراً كبيراً من عمره ثم لا يزال بعيداً عن ان يصل فيها الى الغاية . قال فخير دواء لهذا الداء هو ان ترسم اللغة العربية بالحروف اللاتينية فلا تبقى ثمة حاجة الى شكل الحروف لتعرف حركاتها وتصبح اللغة خفيفة ناشطة قادرة على ان تجاري تقدم الزمن .

وخدم الاستاذ محاضرته بهذا الاقتراح ثم تكلم مصريون وتونسيون ومغربيون وفرنسيون فكان منهم من أيد الاقتراح ومنهم من ابى ان يوافق عليه . وما من حاجة لان أسرد هنا كل الآراء التي قيلت وانما يكفي ان أقول انها كانت آراء سريعة وان الأغلبية كانت مع الاقتراح لا عليه وان اللهجة التي كان مؤيدوه يحملون بها على اللغة العربية كانت عنيفة ثورية .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وآخذ بعد هذا في مناقشة الاقتراح فأقول : ان شروع الترك في كتابة لغتهم بالحروف اللاتينية هو الذي يحاول الآن ان يقذف بهذه الفكرة على اللغة العربية وهو الذي يشجع أصحابها بعد ان كانوا يتهيبون الجهر بها . وليس لي شأن بما يفعله الترك في لغتهم ، اما اللغة العربية فكل انسان يعرف انها بحروفها الحالية ، حملت مدنية كاملة ملأت بها جوانب الارض في مئات قليلة من السنين . وهي لم تحمل المدنية العربية وحدها بل حملت معها كل العلوم اليونانية وكثيراً من العلوم والآداب الفارسية والهندية والرومانية الى ان أدتها كلها ، تأدية أمانة وصدق ، الى المدنية الاوربية الحديثة . وقد قطعت في ذلك أدواراً فلم تجمد في واحد منها ولم تهن بل تطورت في كل دور بما يناسبه . فالذين يقولون انها بحروفها الحالية أداة غير صالحة لنقل العلوم او انها غير مرنة ولا قابلة للتطور تبعاً لمقتضيات العصر يظلمونها وينكرون حقيقة أثبتتها عدة قرون .

وهذه الحروف التي ينتقصونها بها تمتاز على الحروف اللاتينية بانها مشبكة فالكتابة بها أسرع من الكتابة بالحروف اللاتينية . والسرعة عامل من عوامل العصر الحالي ومن أجلها يقترح الاستاذ ماسنيون ترك الحروف العربية فمن أجلها نطلب نحن بقاء هذه الحروف .

ولن يغيب عنا فوق ذلك ان كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية ليست لتنقيحاً لها ولا تخفيفاً لما فيها من الثقل وانما هي تضييع لها بتضييع اثني عشر حرفاً من حروفها الهجائية . فحرف الثاء لا يعرفه الفرنسيون في أبجديتهم والانكليز يركبونه من حرفين فاذا كتب بالحروف اللاتينية اختلط بحرف السين فضاع بعد قليل من الزمن وبقي هذا الاخير ، وحرف الجيم غير معروف بنطقه العربي في الأبجدية اللاتينية وحرف الحاء ليس له مقابل في الأبجدية اللاتينية وهو فيها يختلط بحرف الهاء فيضيع ، وحرف الذال غير معروف في الابجدية اللاتينية ولذلك لا تعرفه اللغة الفرنسية وتؤديه اللغة الانجليزية بحرفين فاذا كتب بالحروف اللاتينية اختلط بحرف الزاي فضاع ، وحرف الصاد لا مقابل له في الأبجدية اللاتينية وهو فيها يختلط بحرف السين فيضيع ، وحرف الضاد لا وجود له في الأبجدية اللاتينية ولا يمكن ان يؤدى بها وهو حينئذ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يختلط بحرف الدال فيضيع ، وقل مثل ذلك في حروف الطاء والظاء والعين والغين والقاف فانها كلها لا وجود لها في الأبجدية اللاتينية وهي حينئذ تختلط بحروف التاء والزاي والالف والجيم (الجيم لافرنجيـة لا الجيم العربية) والكاف فتضيع وتبقى هذه الأخيرة .

فهذه اثناعشر حرفاً من الأبجدية العربية اذا أديت بالحروف اللاتينية اختلطت بغيرها رسماً ونطقاً فضاعت بعد قليل من الزمن . وقل ان توجد كلمة ليس فيها حرف من هذه الحروف فتضييعها تضييع لجزء عظيم من اللغة اذا لم نقل انه تضييع للغة برمتها واذ ذاك لا ينفعها بشيء ان تكون لها تلك الميزات التي رأى الاستاذ ماسنيون انهـا تمتاز بها على اللغات الآرية وعلى كثير من اللغات الأخرى . فأولى إذن للذين يقولون بالحروف اللاتينية ان يكشفوا القنـاع عن وجوههم وان يقولوا انهم يريدون في الحقيقة هدم اللغة العربية .

على ان اقتراحهم هذا لا ينتج النتيجة التي يعللونه بها ويقيمونه عليها اذ هم يقولون ان قصدهم منها تسهيل اللغة على المتعلم ، وهـذه السهولة لا تتحقق لان المتعلم لا يقرأ فقط بل يكتب ايضاً وهو اذا قرأ صحيحاً بقوة الحروف المرسومة أمامه فلن يستطيع ان يكتب صحيحاً الا اذا تعلم الاجرومية العربيـة فعرف حركات الحروف والعوامل النحوية والصرفية التي تؤثر فيهـا . وهذه الحركات والعوامل هي معظم ما يشكو منه الشاكون .

و يجب ان أذكر هنا ان احد المتكلمين بعد الاستاذ ماسنيون عاب اللغة العربيـة بان فيها كلمات تتشابه لفظاً وتؤدي كل واحدة منهـا معنى لا ارتباط له بالمعنى الذي يؤديه الآخر . وضرب مثـلاً لذلك كلمات (أسلم) ومعناها دخل دين الاسلام او ترك نفسه ، و(سلامية) ومعناها عقدة الاصبع ، و(سلم) بضم السين و كسر اللام وقد قال انه قرأ في القاموس ان معناها أصيب بلسعة أفعى في أصابعه . وغني عن البيان ان الذي يأخذ اللغة بهذا العيب انما يعيبها في ذاتها لا في الحروف التي تكتب بها . وغني عن البيان ايضاً ان صاحب هذا الانتقاد لم يفكر فيما يقول والا فلو نه فكر لعرف انه لا توجد لغة ليس فيها مثل هذا العيب ان كان يسمى عيباً . خذ اللغة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الفرنسية مثلاً (Le moi) ضمير المتكلم و (Le mois) الشهر بالفاق في اللفظ واختلاف في حرف واحد ، وفيها (Roc) صخرة و (Rauc) صوت أجش بالفاق في اللفظ واختلاف في حرف واحد ، وفيها (Mer) بحر و (Mére) أم و(Maire) عمدة البلد او حاكمها بالفاق في اللفظ واختلاف في حرف اوحرفين بين كل كلمة والاخرى . وفيها (Mine) منجم و (Mine) منظر بغير ادنى اختلاف في المنطق او في الحروف . ومثل هذا كثير لا يعد ، في اللغة الفرنسية وفي كل لغة .

* * *

فاللغة العربية لا تعاب في ذاتها ولا في حروفها وقد حملت كما قلنا مدنيات عدة وملأت بها الارض في مئات قليلة من السنين وتطورت مع كل زمن وكل علم بما يناسبه وكانت مرونتها في ذلك دليلاً على ان فيها كل عناصر الحياة القوية . لا تعاب في شيء من هذا ولكن .... نعم ولكن .... هل هي الآن مطابقة لمقتضيات العصر متطورة بما يناسبه ؟ وهل فساد الرأي القائل بكتابتها بالحروف اللاتينية معناه ان الانتقاد الذي وجهه اليها الاستاذ ماسنيون فاسد هو الآخر او قد يكون له شيء من الصحة فيحسن بالغيورين على اللغة ان يفكروا فيه وان ينظروا في دواء له غير الذي أشار به الاستاذ ماسنيون ليحفظوا للغة كيانها وليعطوها النشاط الذي ينقصها من بعض نواحيها .

من منا يستطيع ان ينكر ان طالب اللغة العربية يقضي في حفظ قواعدها النحوية والصرفية وفي قواعد رسم الكلمات وما يدخل عليها من العلل وفي حفظ حركات الحروف التي تتركب منها بنية كل كلمة والتي هي في أغلب أحوالها سماعية لا قيد لها ولا قاعدة تجري عليها ، من منا يستطيع ان ينكر ان الطالب يقضي في ذلك كله شطراً كبيراً من عمره ثم لا يزال بعيداً عن الغاية ولا يزال كلما قرأ او كتب عرضت له كلمات يخطئ في نطقها ورسمها ولا يهتدي الى الصواب فيها الا بالرجوع الى المعاجم .

ومن من الذين يعرفون بعض اللغات الاوربية يستطيع ان ينكر ان هذه اللغات أقرب تناولاً من لغتنا العربية واسهل تعلماً وأقل تعقيداً في أجروميتها وقواعدها ثم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فيما هو شاذ سماعي لا أجرومية له ولا ضابط غير الحفظ والاستذكار ؟

ومن منا أخيراً يستطيع ان ينكر ان اللغة واسطة لا غاية وان من اكبر غاياتها ان تؤدي الفكر والعلم الى الذهن فكلما كانت سهلة كان العبور عليها الى الفكر والعلم سهلاً والعكس بالعكس . وقد كان العلم في عصر المدنية العربية محصوراً في دائرة ضيقة فكان تعلمه او تعلم فروع منه مما يتسع له جهد الطالب بجانب الجهد الكبير الذي يبذله في تعلم اللغة . اما الآن فقد اتسع العلم وتعددت فروعه حتى صار مائة مثل لما كان عليه في عهد المدنية العربية او اكثر فصارت المصلحة تقتضي ان تكون اللغة أسهل منها قبل ليتسع مجال الانصراف اليه . والا اذا لم تكون هذه السهولة فلا مناص من احدى حالتين : إهمال جانب من اللغة للاهتمام بالعلم او إهمال جانب من العلم للاهتمام باللغة وفي كل منهما ضرر .

وليس بعيب لغة من اللغات ان تكون محتاجة الى الاصلاح وان تتطور تبعاً لمقتضيات الزمن ، بل الذي يعيبها هو العكس اي ان تقف جامدة بينما الزمن يتقدم وبينما كل شيء يتغير ، وقد تطورت لغتنا عدة تطورات ثم وقفت عند دخول المدنية العربية في دور الاحتضار اي من نحو ستمائة سنة على أقل تقدير فوقوفها هذا هو الذي يجعلها بنت الماضي ويجعل فيها قصوراً عن ان تجاري عصر الكهرباء والطيارات ، وما من لغة من اللغات الاوربية الحية الا وقد تطورت في هذه الستمائة سنة التي وقفت فيها لغتنا عدة مرات لا مرة واحدة فلانت قواعدها وسهل رسم حروفها من غير مساس بكيانها ، وهي الى الآن في مثل هذا التطور المستمر . دونك مثلاً اللغة الفرنسية كانت تكتب في العصور الوسطى بغير ما صارت تكتب به في القرن السادس عشر وهي الآن تكتب بغير هذا وذاك مع المحافظة في الأدوار الثلاثة على كيانها الاصلي وحروفها اللاتينية . ففي العصور الوسطى اي في القرن الحادي عشر كانت أغنية رولان (Chanson de Rolan) تكتب كما يأتي :

Sur I herbe verte,s i est culchiez adauz
(1 Dessus lui met e,espée et (l, olifaut etc. etc...

وفي القرن السادس عشر كان الكاتب مونتين (Montaigne) يكتب كما يأتي :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

Derniéremeut qne je me retiray chez moi, délibéré, autant que je pourray de ne me mesler d, autre chose.. etc.,. etc.

فكل من يطلع على هـذين المثلين يرى الفرق ظاهراً بين رسم الكلمات وقواعد اللغة في القرن الحادي عشر والرسم والقواعد في القرن السادس عشر ثم الرسم والقواعد اليوم مع ان اللغة واحدة والحروف واحدة و يرى ان التطور يمشي من التعقيد الى اللين ومن الصعوبة الى السهولة ومن الزوائد الى حذف مالالزوم له . ولا يزال المجمع العلمي الفرنسي يدرس الكلمات والقواعد كل يوم ويدخل عليها من التنقيح والتهذيب ما يرى ان طبيعة الزمن تقتضيه . واللغة الفرنسية مع هذا هي اللغة الفرنسية لا يضرها ان يدخل على قواعدها ورسم كلماتها تنقيح بل ذلك يجدد لها حياةً ويكسبها نشاطاً ويضفي عليها كل يوم ثوباً زاهياً قشيباً .

فمثل هذا التطور او قريب منه هو الذي تحتاج اليه لغتنا الآن لتلين قواعدها وتسهل معرفة حركات الحروف ورسم الكلمات فيها وما أدري الآن كيف يكون هذا ولا أشير بنوع معين من الاصلاح لان الموضوع يحتاج لبحث عميق بل الى مجمع علمي يتوفر على درسه وفحصه عدة من السنين و يحضرني الآن ان بعض المفكرين فكّر في شيء من ذلك منذ نحو عشرين عاماً ورأى ان تقلب الحركات الى حروف بجانب الحروف الأصلية ولكن فكرته هذه لم تمش لانها لا تحل المسألة بل تزيدها تعقيداً وتترك الانسان يضل بين الحروف الاصلية والحروف التي هي حركات ثم لان الاشارة باصلاح معين في موضوع خطير كهذا يجب ان تأتي من سلطة علمية يقر لها الكل بالسمع والطاعة .

فعسى ان يكون في محاضرة الاستاذ ماسنيون ثم في كلمتي هذه ما ينبه الاذهان الى ان اللغة العربية محتاجة الى الاصلاح او قل الى التطور ، وان عبء هذا التطور واقع علينا بعد ان نهضت اللغة نهضتها هذه في الخمسين عاماً الأخيرة وبعد ان نهضنا نطلب بها علوم المدنية الحديثة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net